تفسير ابن كثير

يقول تعالى : ثم جعلنا القائمين بالكتاب العظيم المصدق لما بين يديه من الكتب الذين اصطفينا من عبادنا وهم هذه الأمة ثم قسمهم إلى ثلاثة أنواع فقال تعالى : { فمنهم ظالم لنفسه } وهو المفرط في فعل بعض الواجبات المرتكب لبعض المحرمات { ومنهم مقتصد } وهو المؤدي للواجبات التارك للمحرمات وقد يترك بعض المستحبات ويفعل بعض المكروهات { ومنهم سابق بالخيرات بإذن ا } وهو الفاعل للواجبات والمستحبات التارك للمحرمات والمكروهات وبعض المباحات .

قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله تعالى : { ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا } قال : هم أمة محمد صلى ا عليه وسلّم ورثهم ا تعالى كل كتاب أنزله فظالمهم يغفر له ومقتصدهم يحاسب حسابا يسيرا وسابقهم يدخل الجنة بغير حساب وقال أبو القاسم الطبراني : حدثنا يحيى بن عثمان بن صالح وعبد الرحمن بن معاوية العتبي قالا : حدثنا أبو الطاهر بن السرح حدثنا موسى بن عبد الرحمن الصنعاني حدثنا ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس عن رسول ا صلى ا عليه وسلّم أنه قال ذات يوم : [شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي] قال ابن عباس Bهما : [السابق بالخيرات يدخل الجنة بغير حساب والمقتصد يدخل الجنة برحمة ا والظالم لنفسه وأصحاب الأعراف يدخلون الجنة بشفاعة محمد صلى ا عليه وسلّم وكذا روي عن غير واحد من السلف أن الظالم لنفسه من هذه الأمة من المصطفين على ما فيه من عوج وتقصير وقال آخرون : بل الظالم لنفسه ليس من هذه الأمة ولا من المصطفين الوارثين للكتاب .

قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي حدثنا علي بن هاشم بن مرزوق حدثنا ابن عيينة عن عمرو عن ابن عباس Bهما فمنهم ظالم لنفسه قال هو الكافر وكذا روى عنه عكرمة وبه قال عكرمة أيضا فيما رواه ابن جرير وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله تعالى : { فمنهم ظالم لنفسه } قال : هم أصحاب المشأمة وقال مالك عن زيد بن أسلم والحسن وقتاده : هو المنافق ثم قد قال ابن عباس والحسن وقتاده : وهذه الأقسام الثلاثة كالأقسام الثلاثة المذكورة في أول سورة الواقعة وآخرها والصحيح أن الظالم لنفسه من هذه الأمة وهذا اختيار ابن جرير كما هو ظاهر الأية وكما جاءت به الأحاديث عن رسول ا صلى ا عليه وسلّم من طرق يشد بعضها بعضا ونحن إن شاء ا تعالى نورد منها ما تيسر .

(الحديث الأول) قال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن الوليد بن العيزار أنه سمع رجلا من ثقيف يحدث عن رجل من كنانة عن أبي سعيد الخدري Bه عن النبي صلى

ا عليه وسلّم أنه قال في هذه الأية { ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن ا } قال] هؤلاء كلهم بمنزلة واحدة وكلهم في الجنة [هذا حديث غريب من هذا الوجه وفي إسناده من لم يسم وقد رواه ابن جرير وابن أبي حاتم من حديث شعبه به نحوه ومعنى قوله بمنزلة واحدة أي في أنهم من هذه الأمة وأنهم من أهل الجنة وإن كان بينهم فرق في المنازل في الجنة .

(الحديث الثاني) قال الإمام أحمد : حدثنا إسحاق بن عيسى حدثنا أنس بن عياض الليثي أبو ضمرة عن موسى بن عقبة عن علي بن عبد ا الأزدي عن أبي الدرداء Bه قال : سمعت رسول ا صلى ا عليه وسلّم يقول] قال ا تعالى : { ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن ا } فأما الذين سبقوا فأولئك الذين يدخلون الجنة بغير حساب وأما الذين اقتصدوا فأولئك الذين يحاسبون حسابا يسيرا وأما الذين ظلموا أنفسهم فأولئك الذي يحبسون في طول المحشر ثم هم الذين تلاقاهم ا برحمته فهم الذين يقولون { الحمد الذي أذهب عنا الحزن إن ربنا لغفور شكور * الذي أحلنا دار المقامة من فضله لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب } .

(طريق أخرى) قال ابن أبي حاتم : حدثنا أسيد بن عاصم حدثنا الحسين بن حفص حدثنا سفيان عن الأعمش عن رجل عن أبي ثابت عن أبي الدرداء Bه قال : سمعت رسول ا صلى ا عليه وسلّم يقول : [ثم أورثنا الكتاب اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ـ قال ـ فأما الظالم لنفسه فيحبس حتى يصيبه الهم والحزن ثم يدخل الجنة] ورواه ابن جرير من حديث سفيان الثوري عن الأعمش قال : ذكر أبو ثابت أنه دخل المسجد فجلس إلى جنب أبي الدرداء Bه فقال : اللهم آنس وحشتي وارحم غربتي ويسر لي جليسا صالحا فقال أبو الدرداء Bه : لئن كنت صادقا لأنا أسعد بك منك سأحدثك حديثا سمعته من رسول ا صلى ا عليه وسلّم لم أحدث به منذ سمعته منه وذكر هذه الاية { ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات } فأما السابق بالخيرات فيدخلها بغير حساب وأما المقتصد فيحاسب حسابا يسيرا وأما الظالم لنفسه فيصيبه في ذلك المكان من الغم والحزن وذلك قوله تعالى : { وقالوا الحمد الذي أذهب عنا الحزن } .

(الحديث الثالث) قال الحافظ أبو القاسم الطبراني : حدثنا عبد ا بن محمد بن العباس حدثنا ابن مسعود أخبرنا سهل بن عبد ربه الرازي حدثنا عمرو بن أبي قيس عن ابن أبي ليلى عن أخيه عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن أسامة بن زيد Bهما { فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن ا } الاية قال : قال رسول ا صلى ا عليه وسلّم : [كلهم من هذه الأمة] .

(الحديث الرابع) قال ابن أبي حاتم : حدثنا محمد بن عزيز حدثنا سلامة عن عقيل عن ابن

شهاب عن عوف بن مالك Bه عن رسول ا صلى ا عليه وسلّم أنه قال : [أمتي ثلاثة أثلاث : فثلث يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب وثلث يحاسبون حسابا يسيرا ثم يدخلون الجنة وثلث يمحصون ويكشفون ثم تأتي الملائكة فيقولون وجدناهم يقولون : لا إله إلا ا وحده يقول ا تعالى صدقوا لا إله إلا أنا أدخلوهم الجنة بقولهم لا إله إلا ا وحده واحملوا خطاياهم على أهل النار] وهي التي قال ا تعالى : { وليحملن أثقالهم وأثقالا مع أثقالهم } وتصديقها في التي فيها ذكر الملائكة قال ا تعالى : { ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا } فجعلهم ثلاثة أنواع وهم أصناف كلهم فمنهم ظالم لنفسه فهذا الذي يمحص ويكشف غريب جدا .

(أثر عن ابن مسعود) Bه قال ابن جرير : حدثني ابن حميد حدثنا الحكم بن بشير عن عمرو بن قيس عن عبد ا بن عيسى Bه عن يزيد بن الحارث عن شقيق أبي وائل عن عبد ا بن مسعود وثلث حساب بغير الجنة يدخلون ثلث : القيامة يوم أثلاث ثلاثة الأمة هذه إن] : قال Bه يحاسبون حسابا يسيرا وثلث يجيئون بذنوب عظام حتى يقول ا D : ما هؤلاء ؟ وهو أعلم تبارك وتعالى فتقول الملائكة : هؤلاء جاؤوا بذنوب عظام إلا أنهم لم يشركوا بك شيئا فيقول الرب D : أدخلوا هؤلاء في سعة رحمتي] وتلا عبد ا Bه هذه الأية { ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا } الاية .

(أثر آخر) قال أبو داود الطيالسي عن الصلت بن دينار بن الأشعث عن عقبة بن صهبان الهنائي قال : سألت عائشة Bها عن قول ا تعالى : { ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه } الاية فقالت لي : [يا بني هؤلاء في الجنة أما السابق بالخيرات فمن مضى على عهد رسول ا صلى ا عليه وسلّم شهد له رسول ا صلى ا عليه وسلّم بالحياة والرزق وأما المقتصد فمن اتبع أثره من أصحابه حتى لحق به وأما الظالم لنفسه فمثلي ومثلكم قال : فجعلت نفسها Bها معنا] وهذا منها Bها من باب الهضم والتواضع وإلا فهي من أكبر السابقين بالخيرات لأن فضلها على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام وقال عبد ا بن المبارك C تعالى : قال أمير المؤمنين عثمان بن عفان Bه في قوله تبارك وتعالى : { فمنهم ظالم لنفسه } قال : هي لأهل بدونا ومقتصدنا أهل حضرنا وسابقنا أهل الجهاد رواه ابن أبي حاتم .

وقال عوف الأعرابي : حدثنا عبد ا بن الحارث بن نوفل قال : حدثنا كعب الأحبار رحمة ا عليه قال : إن الظالم لنفسه من هذه الأمة والمقتصد والسابق بالخيرات كلهم في الجنة ألم تر أن ا تعالى قال : { ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن ا ذلك هو الفضل الكبير * جنات عدن يدخلونها } إلى قوله D { والذين كفروا لهم نار جهنم } قال : فهؤلاء أهل النار رواه ابن جرير من طرق عن عوف به ثم قال : حدثني يعقوب بن إبراهيم حدثنا ابن علية أخبرنا حميد عن إسحاق بن

عبد ا بن الحارث عن أبيه قال : إن ابن عباس Bهما سأل كعبا عن قوله تعالى : { ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن ا } قال : تماست مناكبهم ورب كعب ثم أعطوا الفضل بأعمالهم .

ثم قال ابن جرير : حدثنا ابن حميد حدثنا الحكم بن بشير حدثنا عمرو بن قيس عن أبي إسحاق السبيعي في هذه الأية { ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا } الاية قال أبو إسحاق : أما ما سمعت من ذي ستين سنة فكلهم ناج ثم قال : حدثنا ابن حميد حدثنا الحكم حدثنا عمرو عن محمد بن الحنفية Bه قال : إنها أمة مرحومة الظالم مغفور له والمقتصد في الجنان عند ا والسابق بالخيرات في الدرجات عند ا ورواه الثوري عن إسماعيل بن سميع عن رجل عن محمد بن الحنفية Bه بنحوه .

وقال أبو الجارود : سألت محمد بن علي ـ يعني الباقر ـ Bهما عن قول ا تعالى { فمنهم ظالم لنفسه } فقال : هو الذي خلط عملا صالحا وآخر سيئا فهذا ما تيسر من إيراد الأحاديث والاثار المتعلقة بهذا المقام وإذا تقرر هذا فإن الاية عامة في جميع الأقسام الثلاثة في هذه الأمة فالعلماء أغبط الناس بهذه النعمة وأولى الناس بهذه الرحمة فإنهم كما قال الإمام أحمد C حدثنا محمد بن يزيد حدثنا عاصم بن رجاء بن حيوة عن قيس بن كثير قال : قدم رجل من أهل المدينة إلى أبي الدرداء Bه وهو بدمشق فقال : ما أقدمك أي أخي ؟ قال : حديث بلغني أنك تحدث به عن رسول ا صلى ا عليه وسلّم قال : أما قدمت لتجارة ؟ قال : لا قال : أما قدمت لحاجة ؟ قال : لا قال : أما قدمت إلا في طلب هذا الحديث ؟ قال : نعم قال Bه : فإني سمعت رسول ا صلى ا عليه وسلّم يقول : [من سلك طريقا يطلب فيها علما سلك ا تعالى به طريقا إلى الجنة وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضا لطالب العلم وإنه ليستغفر للعالم من في السموات والأرض حتى الحيتان في الماء وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب إن العلماء هم ورثة الأنبياء وإن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما وإنما ورثوا العلم فمن أخذ به أخذ بحظ وافر] وأخرجه أبو داود والترمذي وابن ماجه من حديث كثير بن قيس ومنهم من يقول قيس بن كثير عن أبي الدرداء Bه وقد ذكرنا طرقه واختلاف الرواة فيه في شرح كتاب العلم من صحيح البخاري و الحمد والمنة وقد تقدم في أول سورة طه حديث ثعلبة بن الحكم Bه عن رسول ا A قال : [يقول ا تعالى يوم القيامة للعلماء : إني لم أضع علمي وحكمتي فيكم إلا وأنا أريد أن أغفر لكم على ما كان منكم ولا أبالي]